التصميم وبالكثير من التعلق الراسخ والعنيد بالارض ومن الشعور الحازم بحتمية النصر « بغلبة الخير على الشر » . وهذا كله يحميهم من الاستسلام واليأس الكاملين . انهم يحتفظون بالاعتقاد العربي التقليدي واسع الانتشار بأن « النصر للحق » واننا ما دمنا اصحاب الحق فلا بد ان ننتصر . وهم يرون هذا الانتصار في انشاء دولة فلسطينية يتعايش بها المسلمون والمسيحيون واليهود ويتمتعون بحقوق متساوية . « نعيش مع اليهود ، ولكن ليس مع صهيونيين يسودون علينا » . واول كل شيء يجب انهاء الاحتلال .

ويتكلم أبناء القدس والضفة الغربية عن غزة الصامدة بافتخار واعجاب ، وكأنها بلد بعيد ، وخيال ، وكرمز لكل طموح قومي عربي . « لم ينعم الاسرائيليون بلحظة سلام واحدة في قطاع غزة . ولن يحصلوا على لحظة سلام . ولن يقهروا اهل غزة » . ويذكرون ، بشيء من الحسد البريء ، ان اهالي غزة تدربوا ، قبل ١٩٦٧ ، على القتال والكفاح وتسلحوا .

وزيارة قطاع غزة سفر الى عالم آخر . انك تدخل هذا العالم الجديد بمجرد ان تعبر الحاجز على الطريق في بيت حانون . يفحص الجنود المسلحون السيارات بدقة ، بينما يقوم اخرون بحراسة شديدة . ويرفعون كل شيء من السيارة وينتشون تفتيشا دقيقا . ويفتحون الحقائب والشنط ، حتى شنط السيدات الصغيرة . ويدققون النظر في الهويات . ويضيقون على المسافرين ، الداخلين الى القطاع والخارجين منه .

ومحطة سكة الحديد على مدخل مدينة غزة مهجورة تماما الا ان الجنود المسلحين يملأون سطح المحطة والمنطقة المجاورة . وقبل اشهر قليلة فجرت مجموعة من أصابع الديناميت حائط مبنى ادارة البريد الرئيسي وتركت فيه فجوة ضخمة وجرحت واحدا وستين شخصا . وتترك البيوت التي تهدمها السلطات فجوات وركامات في الشوارع . وقد هدم الاسرائيليون ، ما بين يونيو ١٩٦٧ واخر ديسمبر ١٩٧٠ (اي في فترة ثلاث سنوات ونصف السنة) ١١١٦ بيتا ، قصاصا . ان غزة تعيش تحت شريعة الغاب ، بينما تجوب دوريات الجنود المسلحين الشوارع شبه المهجورة واصابعهم على رشاشاتهم واعينهم تتجول بحذر من منطقة الى اخرى . انهم مستعدون لاطلاق رشاشهم لمجرد ادنى حركة يرتابون بها . ومعظم الحوانيت مغلقة . أما الحوانيت المفتوحة فان ستائرها منخفضة بحيث يمكن اغلاقها بأقصى سرعة عند حصول اية متاعب . الحركة في الاسواق شبه معطلة . وتنقطع الاعمال قبل المساء بوقت طويل ، ساعات قبل موعد منع التجول (وهو موعد يتبدل بين يوم واخر حسب الظروف) .

ويكمن وراء النوافذ المغلقة ، وربما في الممرات الضيقة وعلى جوانب الازقة ، رجال وشبان واولاد ، يتربصون لهدف اسرائيلي ما . ويكون الشارع هادئا . وفجأة ينطلق صوت انفجار . ثم رصاص . ثم صفير الانذار . ثم ضجيج السيارات المدرعة المحملة بالجنود . وتسد الطرق . ويمنع التجول . ويمنع الجنود المسلحون الناس من الاقتراب . ويحدق الناس بالبقعة السوداء التي خلفها الانفجار ، وكأنهم يقرأون فيه تفسيرا لما حصل . ويقول أحد الناس « رمى ولد قنبلة يدوية على جندي اسرائيلي واخطاه » . ويرد آخر « بل هو جندي اطلق الرصاص على الناس ، وجرح ثمانية عشر رجلا » . وقد يكون اي منهما مصيبا وقد يكون كلاهما مصيبا . فان الاسرائيليين حذرون ويقظون وسريعو الرد على أية حركة مريبة بحيث يبدو الهجوم عليهم وردهم عليه وكأنهما حركة واحدة .

ان حياة البشر في غزة رخيصة . يقتل الناس فيها ، ويستشهدون ، بكثرة . وهذه هي حصيلة النشاط الفدائي خلال اقامتي في غزة مدة ثلاثة ايام فقط : قتل ثمانية عشر رجلا في هجوم بالقنابل في شارع عمر المختار في المدينة . وعثر على جثتي شابين عربيين ، ممزقين بالرصاص ، في مخيم جباليا . ودمر خط السكة قرب رفح . ودمر خمسة وثلاثون انبوب ري في كيبوتز قرب القطاع . واطلقت دورية الرصاص على صبي في مخيم النصيرات واصابته بجراح . والقيت قنبلة على دورية من الجيش في معسكر البريج . وحصل هجوم اخر بالقنابل على محطة بنزين في رفح . ومع هذا اعتبرت السلطات هذه الايام الثلاثة فترة هدوء .

وتعترف الجروسالم بوست بهذه الخسائر في عام ١٩٧٠ كله في غزة : قتل ثمانية جنود اسرائيليين وتسعة مدنيين يهود وجرح واحد وستين جنديا وثمانية واربعين مدنيا ، مقابل قتل تسعة وثلاثين